

فرقانية الثورة الحسينية

د. عبدالاله نعمت الشبيب

خلاصة البحث

إن القرآن يعدّ الرابط الأساس لثورة الامام الحسين بكل ثورات الأنبياء ومن رافقهم من الربيين في طريق الجهاد في سبيل الله عز وجل ، والبحث الذي تناولناه تعرض الى كل صور ونماذج هذا الارتباط القرآني من خلال نصوص الآيات الشواهد أو من خلال الاشارات الخطابية لها أو اللطائف والحقائق القرآنية فيها ومن خلال مفردات بحثها . والحقانية والفرقانية التي ركز عليها البحث تعدّ جامعاً مشتركاً بين الثورة التي هي فرقان الجهاد الأصغر والاكبر وبين القرآن الذي هو كذلك في مسيرة الانسان.

وقد وقف البحث من خلال مباحثه على هذه العلاقة والربط وانتهى الى نتائج ثلاثة هي:

إن القرآن يمثل الثقافة الأصيلة في بحث الثورة الحسينية ، وإن قراءة نصوصه يضع البحث أمام العنصر الأول في القداسة ، وأخيراً إن المعالم القرآنية الحقانية والفرقانية للثورة الحسينية كانت واضحة في نفوس وعقول كل المشاركين في الثورة وضوحاً يجعلهم يسرون بإيمان كامل بها. وإنّ الذين وقفوا أمامها إنما وقفوا جحوداً رغم ما استيقنتها انفسهم.

المقدمة

ثورة الحسين عليه السلام ثورة فرقانية، لأنها فرقت الحق عن الباطل وجعلته متميزاً بالسيف، والقرآن، والمكان، والأهداف.

فالسيف حينما وقع كانت أمة الحسين عليه السلام أمة. وأمة يزيد أمة أخرى. والقرآن الذي كانت تتلوه حنجرة الثورة الحسينية كانت تتلى آياته الفرقانية التي أرادت أن يتميز الحبيث من الطيب والمؤمن من الكافر، والمكان هو كربلاء وقد انتصف صعيدها إلى شقين فقط. شق وقفت فيه رجالات الهدى والإيمان، والآخر وقفت فيه حثالات الباطل والضلال.

وأما الأهداف فيكفي فيها أنّ الفريقين أولهما وضع يده على الخير كلّ الخير وهو الحسين عليه السلام، وثانيهما وضع يده على الشرّ كلّ الشر وهو يزيد.

وقد كتبت الثورة فرقانيتها هذه بقلم العصمة والبقاء والخلود وبالقرآن ذلك هو قلم الإمام والعالم والشهيد، لكي تبقى فرقانيتها شاهدة ومشهودة إلى آخر الدنيا والى يوم يقوم الأشهاد.

وقبل أن نستعرض صفة الفرقانية والقرآنية في الثورة من خلال شواهدنا وعبر مباحث عدّة نتعرّف على المعنى اللغوي للفظة الفرقانية من خلال كتب اللغة.

الفرقانية لغة واصطلاحاً:

يقول الشيخ الطريحي في مجمع البحرين:

"الفرقان: هو القرآن. وكل ما فرّق به بين الحقّ والباطل فهو فرقان وقوله: ﴿وَلَقَدْ آتَيْنَا مُوسَىٰ وَهَارُونَ الْفُرْقَانَ﴾^(١) من هذا^(٢).

ومن هذا قوله: ﴿يَجْعَل لَّكُمْ فُرْقَانًا﴾^(٣) أي نصراً، ويقال أي هداية من

قلوبكم تفرّق بين الحق والباطل.

ويوم الفرقان: يوم بدر وعن الفراء يوم الفتح. (٤) وفي تفسير جوامع الجامع :
يوم الفرقان لأنه يفرق بين الحق بإعزاز أهله والباطل بإذلال أهله (٥).

وقوله: ﴿فَالْفَارِقَاتِ فَرْقًا﴾ (٦) الملائكة تنزل تفرق بين الحلال والحرام (٧).

وقوله: ﴿فَأَفْرُقْ بَيْنَنَا وَبَيْنَ الْقَوْمِ الْفَاسِقِينَ﴾ (٨) أي فرّق (٩).

وفي أساس البلاغة للزمخشري انه قال:

سطع الفرقان: إذا طلع الفجر (١٠). وفي تاج العروس : "ومن المجاز: وقفته
على مفارق الحديث أي على وجوهه الواضحة" (١١).

والفرقانية ليست هي مجرد تفريق شيء عن شيء وإنما ذلك مع الوضوح
والبيان فيقال في الطريق البين طريق أفرق (١٢).

ومن خلال هذه الظلال اللغوية في مادة الكلمة يتضح أن البحث يريد أن
يقول أن الحالة الفرقانية للثورة والتي سيتم تسليط الضوء عليها من خلال
شواهدا هي حالة مفادها وضع العلامات الفارقة والبيئات الواضحة التي من
خلالها يتحقق الفرق ويتضح.

فالتفرقة بين الحق والباطل ليست مجرد تفرقة تصويرية وإنما هي بإضافة
تبيان الحق تبياناً _ تصديقيا واضح المصاديق - يجب معه الاتباع وتحرم معه
المخالفة، وتبيين الباطل - كذلك - تبيينا يجب معه الاجتناب ويحرم الإتيان، وهذا
ما حصل أو أولته الثورة الحسينية جلّ اهتمامها وأعظمه.

وقد لا تقف على حد التفرقة المشار إليه أعلاه، بل ترتقي الى أعلى من ذلك
إذا ما سار المرید على طريقها فإنها تأخذ بيده قطعا الى النجاة والمخرج من كل
أودية الضلال والتهيه نظير قوله تعالى: ﴿وَيَجْعَلْ لَكُمْ فُرْقَانًا﴾ (١٣) (١٤).

والثورة الحسينية لسيت فريدة في تجليها على هذا الوصف (وصف الفرقانية)، بل أن معركة بدر التي خاضها الرسول ﷺ ضد جبهة الوثنية والكفر هي فرقان قرآني واضح بشهادة القرآن المجيد، حيث قال تعالى: ﴿وَمَا أَنْزَلْنَا عَلَى عَبْدِنَا يَوْمَ الْفُرْقَانِ يَوْمَ التَّمَيِّزِ الْجَمْعَانِ﴾ (١٥)، وكذلك المعارك التي خاضها أمير المؤمنين علي عليه السلام في صفين والنهروان والجمل هي فرقانية أيضاً في واحد من صفاتها. ذلك لأن بدر فرقت بين المؤمنين بالله والكافرين والمشركين نظرياً وعملياً، ومعارك علي عليه السلام - وعلي نفسه هو الفاروق الأكبر - كانت على الأثر سوى أنها بالتأويل لا بالتنزيل، وهكذا ثورة الإمام الحسين عليه السلام كانت تنطق بالتنزيل ويعمل بالتأويل مع خصومها ومناوئها لأنهم خصوم رسالة ومناوؤا خط محمد ﷺ نظرياً وعملياً أيضاً.

وما قامت به الثورة الحسينية في إحدى مهماتها أنها فرقت بين الحق والباطل والحلال والحرام والطيب والخبيث والمؤمن والكافر والمطيع والعاصي فلم يعد الأمر بعدها خافياً على ذي سمع وبصر أو فؤاد، ولم يعد الأمر بعدها قابلاً لأن يزيّف. لأنه ختم بدماء لا يمكن ان تكون هناك دماء أظهر ولا أوفى ولا أولى ولا أبر ولا أوصل منها إلى يوم القيامة. ولأنه طبع بطابع الآيات الفرقانية والدلائل القرآنية التي أخذت أنوارها بقلوب العاشقين عن قرب وعن بعد فذاك غلام حسنين الكنتوري المتوفى حدود (١٣٤٠) ممن سبقنا في البحث في هذا المجال في فرقانية الإمام الحسين عليه السلام من آيات القرآن وبيان دلالتها على شهادته في كتابه (الحسينية القرآنية) (الفرقانية) والذي طبع بالهند في قائمتين إحداهما بالعربية والأخرى باللغة الأردوية (١٦). يقول: "وكيف لا يضع المحبّون أفلامهم وأفكارهم في خدمة نسل الفاروق الأكبر (١٧) الذي لا يتقدمه أحد إلا أحمد عليه السلام" (١٨).

المبحث الاول

معالم الحالة الفرقانية من خلال الآيات القرآنية

وبعد ما تقدم من التعريف اللغوي والاصطلاحي للمفردة الأهم في عنوان البحث نتطرق الآن إلى ما يهتم به وهو إلقاء الضوء في هذا المبحث على معالم الحالة الفرقانية من خلال الآيات القرآنية .

فالحسين عليه السلام ربط ثورته بخط الأنبياء من خلال خطابه وخطابات أصحابه وأهل بيته مرّة، وأخرى من خلال تبني أهداف هذا الخط المبارك لكي تكون لهذه الثورة الحالة الفرقانية التي عليها خط الأنبياء.

والبحث في هذه النقطة لا ينصبّ بالتفصيل إلاّ على الآيات الفرقانية التي رافقت الثورة من أول خطواتها إلى آخرها.

أما فرقانية السيف التي مرّت الإشارة إليها فواضحة وقد تجلّت في خطبة زهير (رضوان الله عليه) وهو ينصح أهل الكوفة حيث قال لهم فيما قال: "إنّ حقاً على المسلم نصيحة أخيه المسلم، ونحن حتى الآن إخوة، وعلى دين واحد، وملة واحدة، ما لم يقع بيننا وبينكم السيف"^(١٩). لأن وقوع الحرب يفصل الناس إلى مُحِقٍّ ومبطل بلا شك..

وأما فرقانية المكان فهي واضحة أيضاً حيث انقسم إلى شقيين إلى جنة ونار وقد تجلّت بموقف زهير أيضاً وهذا شطر من المحاور التي وقعت بين زهير (رضوان الله عليه) وعزرة بن قيس مما يشهد لذلك:

زهير: أنشدك الله يا عزرة ان تكون ممّن يُعين الضلال على قتل النفوس الزكية.

قال: يا زهير ما كنت من شيعة أهل هذا البيت إنما كنت عثمانياً.

قال: أفلست تستدلّ على موقفي هذا أيّ منهم؟^(٢٠)، بل وكان المكان فارقاً للحر بن يزيد الرياحي في آخر لحظاته عن جيش عمر بن سعد.

فها هو يقول في لحظة الاختبار الصعب: «إني والله أخير نفسي بين الجنة والنار، والله لا اختار على الجنة شيئاً ولو قُطعت وحرقت»^(٢١). وكان المكان فارقاً لعمر بن سعد حيث اختار منه جهة النار والشقاء والحرمان الأبدي حيث وقف بجيشه قبالة أبي عبد الله الحسين عليه السلام يقاتل الطيبين ويقتلهم.

أما الآيات القرآنية التي أحببنا أن نفصل الكلام فيها فهي الآيات التي وردت في خطابات الثورة عموماً.

فقد كانت هذه الآيات منذ البداية علامة على فرقانية حركة الحسين عليه السلام، لأنها كانت تدلّ بوضوح على ارتباط هذه الحركة بخط الأنبياء الذي تشخصت فرقانيته عن خط الباطل والشرك والفساد والعدوان.

فالحسين عليه السلام منذ البدء ربط خروجه من المدينة باتجاه مكة بخروج موسى عليه السلام من قبل حينما خرج من مصر الفرعونية باتجاه مدين خائفاً يترقب.

ومما رواه المؤرخون كشاهد على هذا الربط ما يأتي:

روى الطبري والمفيد أيضاً: أنّ الوليد أرسل إلى ابن الزبير بعد خروج الحسين فطاوله حتى خرج في جوف الليل إلى مكة وتنكّب الطريق فلما أصبحوا سرح في طلبه الرجال فلم يدركوه فرجعوا وتشاغلوا به عن الحسين عليه السلام، فلما أمسوا، أرسل إلى الحسين، فقال لهم: أصبحوا ثم ترون ونرى، فكفوا عنه فسار الحسين من تحت ليلته إلى مكة وهو يتلو: ﴿فَخَرَجَ مِنْهَا خَائِفًا يَتَرَقَّبُ قَالَ رَبِّ نَجِّنِي مِنَ الظَّالِمِينَ﴾^(٢٢) وأبى أن يتنكّب^(٢٣) الطريق الأعظم مثل ابن الزبير^(٢٤)، الذي سلك فرع الطريق عند خروجه كيلا يلحقه الطلب^(٢٥).

وفي تاريخ الطبري وغيره ما يلي: «وسار الحسين حتى دخل مكة يوم الجمعة لثلاث مضين من شعبان^(٢٦) وهو يقرأ ﴿وَلَمَّا تَوَجَّهَ تَلْقَاءَ مَدِينٍ قَالَ عَسَى رَبِّي أَنْ يَهْدِيَنِي سَوَاءَ السَّبِيلِ﴾^(٢٧)».

وهكذا ظلّ الحسين في كل مرحلة من مراحل تحركه يختار لربط حركته بخط الأنبياء الآيات الفرقانية التي تلقي بالأضواء الفاصلة بين الحق والباطل، فمما اختاره عند خروجه من مكة قوله تعالى: ﴿فَقُلْ لِيْ عَمَلِيْ وَلَكُمْ عَمَلُكُمْ أَنْتُمْ بَرِيئُونَ مِمَّا أَعْمَلُ وَأَنَا بَرِيءٌ مِّمَّا تَعْمَلُونَ﴾^(٢٨) يخاطب به رسل الوالي عمرو بن سعيد بن العاص إليه عند ممانعتهم إيّاه أثناء خروجه من مكة. وقد تأوّل هذا القول المجيد لأنه حسب التنزيل يتحدث عن المشركين وعن المواجهة المرتقبة التي سيخوضونها مع النبي محمد ﷺ ولكن بما أن القوم هم مصداق من مصاديق الآية ومجرى من مجاريها وتطبيق لها تأوّلها معهم لأنهم كما نوّهنا خصوم رسالة ومناوؤ خط. كل ذلك من أجل ان يشعر المخاطبين ومن حولهم أنّ من لم يلتفت حول تحركه أو من يقف أمام تحركه فهو يقف منه ﷺ على حدّ البراءة، وعلى حدّ الفصل والطرفية التي لا تقبل الالتئام والانسجام مع طرفها الآخر. ولكي يشعر الأمة ان دوره ﷺ هو حفظها من الاجتماع على الضلال فافترق عن هذه الجماعة التي بايعت الضلال وتدعو إلى الضلال باسم الإسلام ووحدة الجماعة وطاعة الخليفة (الإمام الفاسق).

وكلتا الآيتين إنما تتحدثان عن بداية تحرك موسى، هذا التحرك الذي برزت علامات افتراقه عن جو الظلم والاستعباد السائد في محيطه من خلال الهجرة والفرار من الظالمين.

هذا هو ربط بدايات تحركه ﷺ أمّا نهايته فُربط من خلال مقطعين قرآنيين عند آخر لحظات تحكيها حركة موسى ﷺ وقد ورد هذان المقطعان في كلمة له ﷺ قالها ساعة زحف الأعداء نحوه، والكلمة هي: «لا والله لا أُعطيكم

بيدي إعطاء الذليل ولا أُقِرُّ أقرار العبيد. عباد الله إني عدت بري وربكم ان
ترجمون، أعوذ بربي وربكم من كل متكبر لا يؤمن بيوم الحساب» (٢٩)

إذ المقطع الأول من الآية (٢٠) في سورة الدخان: ﴿وإني عدت بري وربكم
أن ترجمون﴾ والمقطع الثاني من الآية (٢٧) في سورة غافر ﴿وقال موسى إني عدت
بربي وربكم من كل متكبر لا يؤمن بيوم الحساب﴾ باختلاف لفظي حيث
استعمل لفظة أعوذ بدل «إني عدت» القرآنية، وكلاهما يتحدثان عن صراع
موسى عليه السلام مع فرعون، وعن أحلك ساعات الصراع وأخطرها، حيث التصميم على
القتل كما هو نص المقطعين الشريفين وما تعطيه الآيات البعدية من هذا المعنى
فذكر هذين المقطعين في خطبته يوم عاشوراء. لا يشير إلا إلى وصول الحركة
الحسينية إلى الحالة الفرقانية الواضحة التي تفترق فيها من دون رجعة أمة
الحسين عليه السلام عن أمة يزيد.

ولم يكتف الإمام الحسين عليه السلام من أجل توضيح وتجسيد هذه الصفة
الفرقانية في حركته بربطها بحركة نبي واحد، بل راح عليه السلام يربطها بحركة جميع
الأنبياء عليهم السلام لأن قضيته إنما هي قضية رسالة يمتد عمرها الرسالي من آدم عليه السلام إلى
محمد ﷺ.

فها هي مرتبطة بوضوح بقضية نوح عليه السلام، ومما يشهد لهذا الربط الفرقاني ما
أشار به في خطبته يوم عاشوراء حيث ورد فيها: «أيها الناس اسمعوا قولي ولا
تعجلوا حتى أعطيك بما هو حق لكم عليّ، وحتى أعتذر إليكم من مقدي هذا
واعذر فيكم، فان قبلتم عذري، وصدقتم قولي، وأعطيتموني النصف من
أنفسكم كنتم بذلك أسعد، ولم يكن لكم عليّ سبيل، وان لم تقبلوا مني العذر
ولم تعطوا النصف من أنفسكم ﴿فَأَجْمِعُوا أَمْرَكُمْ وَشُرَكَاءَكُمْ ثُمَّ لَا يَكُنْ
أَمْرُكُمْ عَلَيْكُمْ غُمَّةً ثُمَّ اقْضُوا إِلَيَّ وَلَا تُنظِرُونِ﴾ (٣٠) ﴿إِنَّ وَلِيِّ اللَّهِ الَّذِي نَزَّلَ
الْكِتَابَ وَهُوَ يَتَوَلَّى الصَّالِحِينَ﴾ (٣١).

إذ إنَّ قوله ﷺ: «فاجمعوا أمركم وشركاءكم» إلى قوله: «ولا تنظرون» هو قول نوح ﷺ على ما حكاه القرآن الكريم، وهو منطق التحدي للخصم كما ترى. ولو أردنا متابعة هذه الآية من خلال قراءة ما قبلها وما بعدها لنجد الأمور الآتية:

١- ان نوحاً وهو واحد واجه قومه وتحداهم بأن يفعلوا ما بدا لهم، إن كان كُبر عليهم مقامه وتذكيره ونهضته لأمر الدعوة إلى التوحيد والإيمان بالله.

٢- انه لا يأسف ولا يتضرر من إعراضهم عنه عند تذكيرهم وإسماعهم الحق؛ لأنَّه لا يفوته شيء من الأجر بإعراضهم.

٣- ان خاتمة الصراع بينه وبين قومه انتهت لصالح الحق والهدى حيث نجَّاه الله ومن معه في السفينة وجعلهم خلائف في الأرض.

٤- ان هذه الصور من الصراع تكررت بعده ﷺ مع سائر الرسل.

والحسين ﷺ يريد أن يشير إلى أن قضيته في التذكير والدعوة إلى الحق والعدل مع قومه لا تختلف بشيء عن قضية نوح ﷺ ونبأه الذي قصه القرآن في الآيات (٧١- ٧٤) من سورة يونس. فكما أن نوحاً كان واحداً في أمته وفي مقامه فكذلك الحسين ﷺ، وكما أنَّ نوحاً كان متحدياً للكافرين من قومه وقد أبي أن يعطيهم يده ويقرّ لهم بما يشاؤون، فكذلك الحسين ﷺ وكما أن قوم نوح ﷺ أعرضوا عن تذكير نوح ﷺ ومواعظه وما عرضه عليهم من أدلة داحضة لضلالهم وكفرهم ، فكذلك كانت الأمة التي وقفت أمام الحسين أعرضت عنه وعن كل نصائحها أيما إعراض. وحتى النتيجة هي واحدة. فكما ان نوحاً انتهى إلى النجاة هو ومن معه في الفلك، والى جعلهم من قبل الله تعالى خلائف في الأرض، فكذلك الحسين ﷺ حيث انتهى إلى النجاة بثقله في الأرض علي زين العابدين ﷺ بمشيئة الله وإرادته رغم ما أحيط به من بلوى وما أحيط به من أعداء. هذا الثقل الذي سيتم الاستخلاف في الأرض كل الأرض على يد الثامن من ولده الإمام الحجة المنتظر (عجل الله تعالى فرجه الشريف) (٣٢).

وقد ربط الإمام الحسين قضيته بقضية هود وقضية يونس عليهما السلام من خلال ما اقتبسناه من آيتين فرقانيتين في خطبته الثانية (٣٣)، وهو قول الله تعالى: ﴿إِنِّي تَوَكَّلْتُ عَلَى اللَّهِ رَبِّي وَرَبِّكُمْ مَا مِنْ دَابَّةٍ إِلَّا هُوَ آخِذٌ بِنَاصِيَتِهَا إِنَّ رَبِّي عَلَى صِرَاطٍ مُسْتَقِيمٍ﴾ (٣٤).

ولو ذكرنا ما قبل هذا القول المبارك لوجدنا أنّ القرآن يشير إلى هذه اللحظة الفرقانية بكل صراحة وفصاحة، معبراً عنها بلغة البراءة التي أعلنها هود من قومه مشهداً الله عليها ومشهداً الذين يخاطبهم من المشركين.

وهذا هو المقطع المبارك، فلنقرأه: ﴿قَالُوا يَا هُوْدُ مَا جِئْتَنَا بِبَيِّنَةٍ وَمَا نَحْنُ بِتَارِكِي آلِهَتِنَا عَنْ قَوْلِكَ وَمَا نَحْنُ لَكَ بِمُؤْمِنِينَ . إِنْ نَقُولُ إِلَّا اعْتَرَاكَ بَعْضُ آلِهَتِنَا بِسُوءٍ قَالَ إِنِّي أُشْهِدُ اللَّهَ وَاشْهَدُوا أَنِّي بَرِيءٌ مِّمَّا تُشْرِكُونَ . مِنْ دُونِهِ فَكِيدُونِي جَمِيعًا ثُمَّ لَا تُنظِرُونَ . إِنِّي تَوَكَّلْتُ عَلَى اللَّهِ رَبِّي وَرَبِّكُمْ مَا مِنْ دَابَّةٍ إِلَّا هُوَ آخِذٌ بِنَاصِيَتِهَا إِنَّ رَبِّي عَلَى صِرَاطٍ مُسْتَقِيمٍ﴾ (٣٥).

وربط الإمام الحسين عليه السلام قضيته بقضية إبراهيم عليه السلام أيضاً من خلال ما ذكره من دعاء يحكي مضمون الآية القرآنية التي انتهى إليها إبراهيم عليه السلام في قصة صراعه مع قومه، وهو قوله عليه السلام: " كذبونا وخذلونا، وأنت ربنا، عليك توكلنا واليك المصير" (٣٦) المستوحى من قوله تعالى في حكاية ذلك الصراع الإبراهيمي النمرودي:

قال تعالى: ﴿قَدْ كَانَتْ لَكُمْ أُسْوَةٌ حَسَنَةٌ فِي إِبْرَاهِيمَ وَالَّذِينَ مَعَهُ إِذْ قَالُوا لِقَوْمِهِمْ إِنَّا بُرَاءٌ مِنْكُمْ وَمِمَّا تَعْبُدُونَ مِنْ دُونِ اللَّهِ كَفَرْنَا بِكُمْ وَبَدَا بَيْنَنَا وَبَيْنَكُمْ الْعَدَاوَةُ وَالْبَغْضَاءُ أَبَدًا حَتَّى تُؤْمِنُوا بِاللَّهِ وَحَدَهُ إِلَّا قَوْلَ إِبْرَاهِيمَ لِأَبِيهِ لَأَسْتَغْفِرَنَّ لَكَ وَمَا أَمْلِكُ لَكَ مِنَ اللَّهِ مِنْ شَيْءٍ رَبَّنَا عَلَيْكَ تَوَكَّلْنَا وَإِلَيْكَ أَنَبْنَا وَإِلَيْكَ الْمَصِيرُ﴾ (٣٧).

والكلام الشريف في هذا المقطع القرآني كما ترى يظهر هو الآخر صورة

المواجهة بين الحق والباطل بشكل واضح، وهو يظهر أيضاً صورة البراءة الأبدية من الباطل وممارسات أهله ضدّ الحق وأهله. ولعلّ هذه الصورة الفرقانية هو ما كان الإمام الحسين عليه السلام يروم الإشارة إليها من خلال ما ارتبط بها آخر الآية الكريمة، إضافة إلى ما يظهر من المعنى الوارد فيه وهو واضح.

ومن المقاطع الفرقانية التي اختارها الحسين لإبراز هذه الصفة في ثورته المقطع القرآني التالي:

﴿إِنَّ وَلِيِّ اللَّهِ الَّذِي نَزَّلَ الْكِتَابَ وَهُوَ يَتَوَلَّى الصَّالِحِينَ﴾ (٣٨)، وهو مقطع له ربط وثيق بما قبله وما بعده من الآيات الواردة في سورة الأعراف، وها هي الآيات فلنذكرها أولاً:

﴿وَإِنْ تَدْعُوهُمْ إِلَى الْهُدَىٰ لَا يَتَّبِعُوكُمْ سَوَاءٌ عَلَيْكُمْ أَدَعَوْتُمُوهُمْ أَمْ أَنْتُمْ صَامِتُونَ * إِنَّ الَّذِينَ تَدْعُونَ مِنْ دُونِ اللَّهِ عِبَادٌ أَمْثَلُكُمْ فَادْعُوهُمْ فَلْيَسْتَجِيبُوا لَكُمْ إِنْ كُنْتُمْ صَادِقِينَ * أَلَمْ أَرْجُلُ يَمشُونَ بِهَا أَمْ لَمْ أَيْدٍ يَبطشُونَ بِهَا أَمْ لَمْ أَعْيُنٌ يُبصرون بِهَا أَمْ لَمْ أَأْذَانٌ يَسْمَعُونَ بِهَا قُلِ ادْعُوا شُرَكَاءَكُمْ ثُمَّ كِيدُوا فَلَا تُنظِرُون * إِنَّ وَلِيِّ اللَّهِ الَّذِي نَزَّلَ الْكِتَابَ وَهُوَ يَتَوَلَّى الصَّالِحِينَ. وَالَّذِينَ تَدْعُونَ مِنْ دُونِهِ لَا يَسْتَجِيبُونَ نَدْعَاءَكُمْ وَلَا أَنْفُسَهُمْ يَنْصُرُونَ * وَإِنْ تَدْعُوهُمْ إِلَى الْهُدَىٰ لَا يَسْمَعُوا وَتَرَاهُمْ يَنْظُرُونَ إِلَيْكَ وَهُمْ لَا يُبْصِرُونَ﴾ (٣٩).

والغرض من ذكر هذه الآيات التي تتضمن الآية الفرقانية التي تخصّ البحث فهو ما سنقله من كلام السيد الطباطبائي في تفسيره الآية حيث قال: "لكي تبين كم هو مدى التحدي الذي ابرزه ﷺ لخصومه وأهنتهم من الشركاء ليستبين سبيله من سبيلهم ويظهر أن ربّه هو الله الذي له العلم والقدرة وان أربابهم لا يملكون علماً ليهتدوا به إلى شيء ولا قدرة لينصروهم في شيء فقال: قل لهم ادعوا شركاءكم لنصركم عليّ ثم كيدوني فلا تنظرون ولا تمهلون. إنّ ربي

ينصرني ويدفع عني كيدكم فإنه الذي نزل الكتاب ليهدي به الناس، وهو يتولى الصالحين من عباده فينصرهم، وهو القائل ان الأرض يرثها عبادي الصالحون وانا من الصالحين فينصرني ولا محالة، وأما أربابكم الذين تدعون من دونه فلا يستطيعون نصركم ولا نصر أنفسهم ولا يسمعون ولا يبصرون فلا قدرة لهم ولا علم.

وفي الآيات أمر النبي ﷺ أن يخبرهم أنه من الصالحين ولم يعهد فيما يخبر صلاح الأنبياء مثل ذلك في غيره ﷺ (٤٠).

أقول: لو نقلنا مواضع هذا الكلام إلى قضية الحسين عليه السلام فإننا سنجدها تنطبق على مواضعها انطباقاً كاملاً.

فالحسين - بتحدّيه الذي عرفت به مسيرته وثورته وعرف به هو - يريد أن يستبين سبيله من سبيل أعدائه الطالحين الذين اجتهدوا في التلبيس على الناس بأنهم ممن لزم الطاعة والجماعة وثبت على الحق في قتل من مرق على الدين وخالف الإمام وذلك الذي فرّق هو الحسين عليه السلام بزعمهم وها هي أقواله الهادفة لتحقيق هذا الاستبيان والفرقانية لسبيله عليه السلام عن سبيل يزيد.

قال عليه السلام: "ألا وإن الدعي ابن الدعي ركز بين اثنتين بين السلّة والذلّة وهيّات منا الذلّة" (٤١).

وقال عليه السلام: "ولا أعطيكم بيدي إعطاء الذليل ولا أقر إقرار العبيد" (٤٢).
وقال أيضاً مستشهداً بقوله عزّ وجلّ: ﴿أَجْمِعُوا أَمْرَكُمْ وَشُرَكَاءَكُمْ ثُمَّ لَا يَكُنْ أَمْرُكُمْ عَلَيْكُمْ غُمَّةً ثُمَّ اقْضُوا إِلَيَّ وَلَا تُنظِرُون﴾.

وبين عليه السلام لأعدائه رغم كثرة عددهم وعدّتهم أن النصر بيد الله، وإن الله لا يعطيه إلا للصالحين من عباده لا للمفسدين والظالمين والمجرمين والكافرين من أمثال يزيد واتباعه وأشياعه مهما اجتهدوا في الغي وبالغوا في الكيد والعدوان،

وأشار للناس ان الصالحين الذين يتولاهم الله حسب نص الآية الكريمة التي استشهد بها في خطبته يوم السادس من محرم على ما نقله ابن نما هم شخصه المظهر ورجالات حزبه وأنصاره، مَثَّلَهُ في ذلك مثل رسول الله ﷺ وهو يخاطب مشركي قريش بتلك الآيات الكريمة. إذ لا فرق بين أولئك الذين وقفوا بوجه الإسلام أيام جدّه ﷺ وبين هؤلاء الذين وقفوا بوجه الإسلام والصالحين أيامه هو ﷺ

أقول: ان هذه الاشارات الفرقانية التي أوردها الإمام الحسين ﷺ في خطبه لتوضّح بلاشك هوية الجانب الثاني من الصراع وتضعه في فريق الباطل المحض. ولم يقتصر الإمام الحسين ﷺ على هذه الموارد من الربط، بل كثيراً ما كان يربط ثورته وقضيته بقضية يحيى بن زكريا الذي أهدي رأسه إلى بغي من بغايا بني إسرائيل.

ذكر صاحب معالم المدرستين الأمر في هذا الصدد فقال: « وكذلك كان يكرر التصريح بأمثال هذه الأقوال، قال علي بن الحسين: خرجنا مع الحسين ﷺ فما نزل منزلاً ولا ارتحل منه إلا ذكر يحيى بن زكريا ومقتله، وقال يوماً: ومن هوان الدنيا على الله أنّ رأس يحيى بن زكريا أهدي إلى بغي من بغايا بني إسرائيل» (٤٣).

ولم ترد قصة مقتل يحيى في القرآن ولكن الذي يفهم من الروايات ان الذي قتله هو أحد ملوك بني إسرائيل من أجل شهوة محرّمة قذرة فكان ﷺ شهيد النهي عن المنكر الذي كان يرتكبه هذا الملك المتهتك (٤٤).

ولا شك في أنّ الحسين حينما كان يذكر يحيى بن زكريا فانه يذكره بما يذكره به القرآن. وقد ذكره القرآن بهذه الأوصاف الفارقة التي يتميز بها وهي كالاتي:

كان مصدّقاً بكلمة من الله، وكان سيّداً حصوراً، وكان نبياً ومن الصالحين، وانه كان من المهديين، وان الله لم يجعل له من قبل سمياً. وأمره بأخذ الكتاب بقوة، وان الله آتاه الحكم صبياً، وسلّم عليه يوم ولد، ويوم يموت، ويوم يبعث حياً، وانه

كان من بيت يسارع أهله في الخيرات، ويدعون الله رغباً ورهباً وكانوا خاشعين^(٤٥). فكان عليه السلام إذاً يشير بذكر قضية يحيى وقضية قتله إلى هذه اللوحة الفرقانية التي وقف يحيى تحت ظلها المباركة الكريمة وانفصل بها عن ظلال الملك الشهواني المتهتك الفاسد الغادر الذي ذكرت الروايات فعلته الشيعة مع يحيى، ويشير إلى أن أمثال هؤلاء الملوك - ويزيد أبرز مصاديقهم - لا يتورعون عن قتل الناس من أجل شهواتهم ونزواتهم وإن كانوا أنبياء أو صالحين أو أهل هدى وسيادة حقيقية أو شرف أو حكمة وحكم وقوة في عقل إلى غير ذلك من الصفات المقدسة والمحرمة.

ثم إنَّ الحسين حياً وميتاً لم يترك وضع الخطوط الحمراء والفواصل الفارقة بين مبادئ الحق والخير وأهله وبين مبادئ الشر والباطل وأهله، بل راح يؤكّد عليها حتى أثناء المعركة. ويؤكّد على انتمائه إلى هذا الخط المقدس - خط الأنبياء - المفترق عن خط الكفر والضلال.

يقول الخوارزمي عندما عزم أهل بيت الحسين عليه السلام على الحرب: وتقدم علي الأكبر إلى ساحة القتال: صاح الحسين يا عمر بن سعد: مالك قطع الله رحمك، ولا بارك لك في أمرك وسلّط عليك من يذبك على فراشك، كما قطعت رحمي ولم تحفظ قرابتي من رسول الله، ثم رفع صوته وقرأ: ﴿إِنَّ اللَّهَ اصْطَفَىٰ آدَمَ وَنُوحًا وَآلَ إِبْرَاهِيمَ وَآلَ عِمْرَانَ عَلَى الْعَالَمِينَ. ذُرِّيَّةً بَعْضُهَا مِنْ بَعْضٍ وَاللَّهُ سَمِيعٌ عَلِيمٌ﴾^(٤٦).

وراح الحسين عليه السلام أيضاً يؤكّد عليها وهو رأس مقطوع مرفوع على قناة أهل الباطل وذلك من خلال تلاوته لآيات سورة الكهف، وآيات أخرى غيرها تثير هذا المعنى بلغة البيان والقرآن.

وهذه هي الآيات المباركة التي ورد ذكرها في ألسنة الروايات.

١ - آيات سورة الكهف من الآية الأولى إلى الآية الثالثة عشر.

٢- الآية (١٣٧) من سورة البقرة، والمقطع الأخير من الآية (٢٢٧) من سورة الشعراء.

أما الروايات التي تَصَمَّت تلك الآيات وذكرت تلاوة رأس الحسين عليه السلام لها فهي كما في رواية اللهوف كالآتي:

قال السيد ابن طاووس في اللهوف، قال زيد بن أرقم: "أنه مر عليّ به _ برأس الحسين عليه السلام _ وهو علي رمح، وأنا في غرفة لي، فلما حاذاني سمعته يقرأ: ﴿أَمْ حَسِبْتَ أَنَّ أَصْحَابَ الْكَهْفِ وَالرَّقِيمِ كَانُوا مِنْ آيَاتِنَا عَجَبًا﴾ فقَفَّ والله شعري وناديت: رأسك والله _ يا ابن رسول الله صلى الله عليه وآله _ وأمرك أعجب وأعجب، فلما فرغ القوم من الطواف به في الكوفة ردّوه إلى باب القصر" (٤٧).

وعن طرف الزمان عن سلمة بن كهيل قال: «رأيت رأس الحسين عليه السلام على القنا وهو يقرأ ﴿فَسَيَكْفِيكَهُمُ اللَّهُ وَهُوَ السَّمِيعُ الْعَلِيمُ﴾» (٤٨).

وقد صحح الشيخ الصدوق عدداً من هذه الروايات التي تنطق في هذا السياق بل وقواها سنداً (٤٩).

فكل الآيات التي تقدم ذكرها أخيراً تشير إلى وجود ظالم ومظلوم، وأن الحسين عليه السلام وهو يتلو هذه الآيات إضافة إلى أنه يثير مظلوميته ومظلومية عياله، وأنه سينتصر من بعد ظلمه هذا، وتدل من جهة أخرى على تشخيص الظالم، والإخبار بقرب منقلبه وهلاكه. فهي إذن آيات فرقانية فرقت بين الظالم والمظلوم من حيث المواصفات والنتائج، وعليه فلم تبق بعد هذه الآيات الكثيرة التي سرت في شرايين ومفاصل الحركة الحسينية حجة للناس على الله بأن يقولوا إنّ الباطل لازال ملتبساً علينا ولا زال الأمر غامضاً. كلا، فإن ثورة الحسين عليه السلام وضعت كل نقاط الفرز وكل العلامات الفارقة التي تفرّق بين الحق والباطل حتى غدا فيه أمر الحق والرشد كالبدر الساطع في سواد الليل. بل كما هو صريح قوله تعالى الآتي الذي

اختاره هو عليه السلام في تلاوته ليلة العاشر من المحرم كما رواه الطبري عن أبي مخنف عن الضحاك بن عبد الله المشرقي، قال: فلما أمسى الحسين وأصحابه قاموا الليل كله يصلون ويستغفرون ويدعون ويتضرعون، قال: فمرّ بنا خيل لهم تحرسنا، وإنما حسينا عليه السلام ليقرأ ﴿وَلَا يَحْسَبَنَّ الَّذِينَ كَفَرُوا أَنَّمَا نُمِلُّ لَهُمْ خَيْرٌ لَّأَنفُسِهِمْ إِنَّمَا نُمِلُّ لَهُمْ لِيَزْدَادُوا إِثْمًا وَلَهُمْ عَذَابٌ مُّهِينٌ * مَا كَانَ اللَّهُ لِيَذَرَ الْمُؤْمِنِينَ عَلَىٰ مَا أَنْتُمْ عَلَيْهِ حَتَّىٰ يَمِيزَ الْخَبِيثَ مِنَ الطَّيِّبِ﴾ ^(٥٠)... الخ الرواية ^(٥١).

فقد تميّز الحق من الباطل، والطيب من الخبيث، والمؤمن من الكافر، ولم يبق لمتعلّل علة، ولا لمجادل محاصمة أو سبيل، وليس هذه الاختيارات القرآنية التي اختارها الإمام الحسين عليه السلام، بل وما دار على منطق أصحابه رضي الله عنهم أيضاً. أمثال حنظلة بن أسعد الشبامي ^(٥٢) ممن تمثل موقف مؤمن آل فرعون في تذكيره ووعظه هناك وغيره ليس من باب الصدفة أبداً، وإنما لتكون صورة الصراع واضحة بين الجبهتين كوضوح فريقَي الآية الأخيرة وهما يتميزان إيماناً وكفراً وطيباً وخبثاً. وقد استمر علي بن الحسين عليه السلام في إبراز معالم الفرقانية في الثورة وكذلك زينب عليها السلام من خلال الآيات القرآنية التي تناسب المقام.

ومما نقلته السيرة عن الإمام زين العابدين عليه السلام في هذا الصدد هو ذكره للآيات القرآنية الفرقانية الآتية في ضمن محاوره جرت بينه وبين شيخ علي رواية صاحب البحار وسننقل الرواية أيضاً من أجل إزاحة كل محاولات اللبس التي اعتمدها أهل الباطل لإضاعة معالم الحق وستره وعدم ظهوره.

يقول العلامة المجلسي في البحار: "وجاء شيخ فدنا من نساء الحسين وعياله وقد أقيموا على درج باب المسجد، وقال الحمد لله الذي قتلكم، وأراح البلاد من رجالكم، وأمكن أمير المؤمنين منكم، فقال علي بن الحسين يا شيخ هل قرأت القرآن؟ قال: نعم. فقال: هل قرأت هذه الآية: ﴿قُلْ لَا أَسْأَلُكُمْ عَلَيْهِ أَجْرًا إِلَّا الْمَوَدَّةَ فِي الْقُرْبَىٰ﴾ قال الشيخ: قد قرأت، قال عليه السلام: فنحن القربى، فهل قرأت هذه



الآية: ﴿وَأَعْلَمُوا أَنَّمَا غَنِمْتُمْ مِّن شَيْءٍ فَإِنَّ لِلَّهِ خُمُسَهُ وَلِلرَّسُولِ وَلِذِي الْقُرْبَىٰ﴾ قال : نعم. قال علي عليه السلام: نحن القربى يا شيخ. فهل قرأت هذه الآية: ﴿إِنَّمَا يُرِيدُ اللَّهُ لِيُذْهِبَ عَنْكُمُ الرِّجْسَ أَهْلَ الْبَيْتِ وَيُطَهِّرَكُمْ تَطْهِيرًا﴾ قال الشيخ: قد قرأت، قال علي عليه السلام: نحن أهل البيت الذين حُصِّصْنَا بِآيةِ التَّطْهِيرِ يا شيخ. فبقى الشيخ ساكناً نادماً على ما تكلم به. وقال بالله إنكم هم؟ فقال علي بن الحسين: تالله، إنا لنحن هم من غير شك وحقَّ جدنا رسول الله إنا لنحن هم. فبكى الشيخ ورمى بعمامته ورفع رأسه إلى السماء وقال اللهم أبرأ إليك من عدو محمد صلى الله عليه وآله من الجن والإنس ثم قال: هل لي من توبة؟ فقال له: نعم، إن تبت تاب الله عليك وأنت معنا. قال أنا تائب فبلغ يزيد بن معاوية حديث الشيخ فأمر به فقتل " (٥٣).

وهكذا فعلت زينب عليها السلام فقد جاء في مثير الأحزان واللهوف ما يأتي: "فقامت زينب بنت علي بن أبي طالب فقالت الحمد لله رب العالمين وصلى الله على رسوله وآله أجمعين صدق الله سبحانه حيث يقول: ﴿ثُمَّ كَانَ عَاقِبَةَ الَّذِينَ أَسَاءُوا السُّؤَىٰ أَن كَذَّبُوا بِآيَاتِ اللَّهِ وَكَانُوا بِهَا يَسْتَهْزِئُونَ﴾ أظننت يا يزيد حيث أخذت علينا أقطار الأرض... الخ ثم قالت: أنسيت قول الله تعالى: ﴿وَلَا يَحْسَبَنَّ الَّذِينَ كَفَرُوا أَنَّمَا نُمِّلِي لَهُمْ خَيْرٌ لَّأَنفُسِهِمْ إِنَّمَا نُمِّلِي لَهُمْ لِيَزْدَادُوا إِثْمًا وَلَهُمْ عَذَابٌ مُّهِينٌ﴾" (٥٤).

فقد وضحت عليها السلام ان يزيد هو الكافر، وانه ممن أساء السؤاى وممن كذب بايات الله واستهزأ بها لا كما يصوره الإعلام الأموي بأنه الخليفة الشرعي وان الحسين خارجي..

وليس من نافلة القول أن نقول: ان الذين خذلوا الحسين عليه السلام إنما خذلوا كل الأنبياء لأنه كلهم بمقاطع من كلام الأنبياء عليهم السلام في حالات مواجهاتهم. فتصور كم هي الحجة الملقاة على عاتق أولئك الذين حاربوه عليه السلام إنها أكبر الحجج بلا شك، وكم هي همجية هذا الذي وضع سيفه على قفا الإمام الحسين عليه السلام

ليحتزّ حنجرته التي تكلمت بصدق ونصيحة ووفاء بكلّ كلمات الأنبياء في حالات المواجهة. انه بلا شك واضح لسيفه وخنجره على قفا نوح وهود وإبراهيم وموسى ومحمد ﷺ وجميع الأنبياء والصالحين يحتزّها جميعاً، ألا لعنة الله عليه وعلى أوليائه ومتابعيه والراضين بفعله ومن انتهج نهجه إلى قيام يوم الدين.

انتهى الحديث بالتفصيل عن معالم الحالة الفرقانية التي أبرزتها الآيات القرآنية الواردة في إعلام الثورة الحسينية.

والآن نسلط الضوء على جانب تفصيلي آخر يؤكّد على إبراز معالم الصفة الفرقانية للثورة ولكن من خلال الأهداف والدواعي التي تحركت بها الثورة الحسينية.

المبحث الثاني

معالم الحالة الفرقانية من خلال الأهداف والدواعي الحسينية

ان دواعي الثورة التي تحرك بها الإمام الحسين عليه السلام هي نفس دواعي رسالات الأنبياء عليهم السلام وقد استطاع الإمام الحسين عليه السلام أن يربط ثورته بتلك الرسالات ربطاً كاملاً من خلال تبني أهدافها جميعاً. والذي يطالع الآيات الآتية أرقامها:

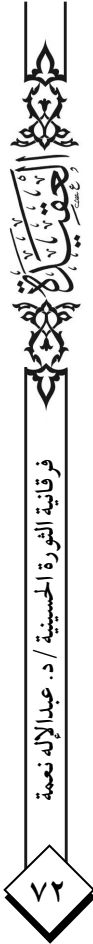
١٠ - ١١ / الشعراء وهي المتن القرآني لرسالة موسى عليه السلام.

١٠٦ - ١٠٧ / الشعراء وهي المتن القرآني لرسالة نوح عليه السلام.

١٢٤ - ١٣١ / الشعراء وهي المتن القرآني لرسالة هود عليه السلام.

١٤٢ - ١٥٢ / الشعراء وهي المتن القرآني لرسالة صالح عليه السلام.

١٦١ - ١٦٦ / الشعراء وهي المتن القرآني لرسالة لوط عليه السلام.



١٧٧-١٨٤ / الشعراء وهي المتن القرآني لرسالة شعيب عليه السلام.

١٢٣ - ١٢٦ / الصافات وهي المتن القرآني لرسالة إلياس عليه السلام.

يجد أن هذه المتون القرآنية التي تعدّ خلاصة رسالات الأنبياء عليهم السلام التي تعرضت لها تانك السورتان الشعراء والصافات تشترك بمفردات أربعة هي:

١ - مقاومة الظلم والانحراف.

٢ - مقاومة الكفر والشرك.

٣ - مقاومة الفساد والمنكر.

٤ - مقاومة البطش والعدوان والجبروت.

وهذه بعض من مقاطع تلك المتون الكريمة:

المقطع الأول: ويتناول مقاومة الظلم

﴿وَإِذْ نَادَى رَبُّكَ مُوسَىٰ أَنْ ائْتِ الْقَوْمَ الظَّالِمِينَ قَوْمَ فِرْعَوْنَ أَلَا يَتَّقُونَ﴾ (٥٥).

المقطع الثاني: ويتناول مقاومة الكفر والشرك:

قال تعالى: ﴿وَإِنَّ إِلْيَاسَ لَمِنَ الْمُرْسَلِينَ. إِذْ قَالَ لِقَوْمِهِ أَلَا تَتَّقُونَ . أَتَدْعُونَ بَعْلًا وَتَذَرُونَ أَحْسَنَ الْخَالِقِينَ. اللَّهُ رَبُّكُمْ وَرَبَّ آبَائِكُمُ الْأُولِينَ﴾ (٥٦).

المقطع الثالث: ويتناول مقاومة الفساد:

قال تعالى: ﴿إِذْ قَالَ لَهُمُ شُعَيْبٌ أَلَا تَتَّقُونَ . إِنِّي لَكُمْ رَسُولٌ أَمِينٌ . فَاتَّقُوا اللَّهَ وَأَطِيعُوا . وَمَا أَسْأَلُكُمْ عَلَيْهِ مِنْ أَجْرٍ إِنْ أَجْرِيَ إِلَّا عَلَىٰ رَبِّ الْعَالَمِينَ . أَوْفُوا الْكَيْلَ وَلَا تَكُونُوا مِنَ الْمُخْسِرِينَ . وَزِنُوا بِالْقِسْطَاسِ الْمُسْتَقِيمِ . وَلَا تَبْخَسُوا النَّاسَ أَشْيَاءَهُمْ وَلَا تَعْتُوا فِي الْأَرْضِ مُفْسِدِينَ . وَاتَّقُوا الَّذِي خَلَقَكُمْ وَالْحَبْلَةَ الْأُولِينَ﴾ (٥٧).

المقطع الرابع: ويتناول مقاومة العدوان والبطش والجبروت

قال تعالى: ﴿إِذْ قَالَ لَهُمُ أَخُوهُمْ هُودٌ أَلَا تَتَّقُونَ . إِنِّي لَكُمْ رَسُولٌ أَمِينٌ . فَاتَّقُوا اللَّهَ وَأَطِيعُوا﴾ (٥٨).

وهذه المحاور الأربعة التي تدور حولها رسالات الأنبياء في التغيير والإصلاح هي نفسها أهداف الحركة الحسينية، وقد أشار الإمام عليّ إلى ذلك من خلال بعض النصوص القرآنية التي استشهد بها أثناء تحركه ومن خلال بعض النصوص التي وردت على لسانه الشريف.

ففي أثناء خروجه عليّ إلى مكة على ما يرويه الطبري والمفيد كان يتلوا قوله تعالى: ﴿وَحَرَجَ مِنْهَا خَائِفًا يَتَرَقَّبُ قَالَ رَبِّ نَجِّنِي مِنَ الْقَوْمِ الظَّالِمِينَ﴾ فهذه الآية تدل بالصراحة على أن الجهة الثانية التي بدأ تحركه ضدها هي جهة ظالمة وان مسيرته الرسالية لا تختلف عن مسيرة الرسالات السماوية التي تحركت ضد الظلم والباطل أمثال رسالة موسى عليّ.

ومما رواه الطبري أيضاً بخصوص محور التحرك ضد الظلم والباطل قال: "قال عقبة بن أبي العيزار قام الحسين عليّ بذي حسم، فحمد الله وأثنى عليه ثم قال: انه قد نزل من الأمر ما قد ترون، وان الدنيا قد تغيرت وتنگرت، وأدبر معروفها، واستمرت جذاء، فلم يبق منها إلا صباغة كصباغة الإناء، وخسيس عيش كالمعري الوبيل، ألا ترون إلى الحق لا يعمل به والى الباطل لا يتناهى عنه ليرغب المؤمن في لقاء الله محققاً، فإنني لا أرى الموت إلا شهادة، ولا الحياة مع الظالمين إلا برماً.." (٥٩).

فجاء - أي قرّة بن قيس - حتى سلّم على الحسين وأبلغه رسالة عمر بن سعد، فقال له الحسين: كتب إليّ أهل مصركم هذا أن أقدم فأما إذا كرهتموني فأنا أنصرف عنهم، قال، ثم قال له حبيب بن مظاهر ويحك يا قرّة بن قيس أين ترجع؟ إلى القوم الظالمين؟ انصر هذا الرجل الذي بآبائه أيديك الله بالكرامة" (٦٠).

وأما الشاهد التاريخي الذي يؤكد التقاء حركة الحسين عليه السلام بحركة الأنبياء في محور مقاومة الكفر والشرك فهو ما ورد من محاوراة بين الحسين عليه السلام ورسول والي يزيد في مكة عند خروجه منها، والتي وردت فيها البراءة الصريحة مما يعمل يزيد وأولياء يزيد إشارة إلى كفرهم وضلالهم. وقد مرّ ذكر هذه المحاوراة في بحث النقطة الأولى.

وأما الشاهد التاريخي الذي يؤكد الالتقاء في محور مقاومة الفساد فهو ما رواه الطبري من قول الإمام الحسين عليه السلام أثناء وصول خبر استشهاد مسلم بن عقيل: حيث قال عليه السلام: "كل ما حمّ نازل وعند الله نحتسب أنفسنا وفساد أمتنا" (٦١). هذا الفساد الذي عمّ جميع مناحي الحياة الاجتماعية والسياسية والإدارية والأخلاقية والمالية والدينية.

وأما الشاهد الذي ورد بخصوص المحور الرابع فهو ما رواه الطبري أيضاً وابن الأثير بعد أن سار ابن الزبير الحسين عليه السلام بالبقاء في المسجد الحرام وبتعهده بجمع الناس له فقال عليه السلام: "والله لئن اقتل خارجاً منها أحبّ إليّ من أن أقتل داخلها فيها بشبر. وأيم الله لو كنتم في جحر هامة من الهوام لاستخرجوني حتى يقضوا فيّ حاجتهم، والله ليعتدنّ عليّ كما اعتدت اليهود في السبت" (٦٢)، وكذلك ما ورد في خطبة الإمام الحسين عليه السلام لأصحابه بالبيضة خلال الطريق إلى كربلاء، قال فيها: "أيها الناس إن رسول الله صلى الله عليه وآله قال: من رأى سلطاناً جائراً مستحلاً لحرم الله، فلم يغير عليه بفعل ولا قول كان حقاً على الله أن يدخله مدخله، ألا وإن هؤلاء قد لزموا طاعة الشيطان، وتركوا طاعة الرحمن، واظهروا الفساد، وعطلوا الحدود، واستأثروا بالفيء، وأحلّوا حرام الله، وحرّموا حلاله وأنا أحقّ من غيري... الخ الخطبة" (٦٣).

بل وهذا شاهد تاريخي ينقله الطبري يمثل ان الجبهة التي تحرك الحسين ضدها هي مستوفية لهذه الصفات التي تجب الثورة عليها، قال في ذكر قتل عروة

ابن أدية وغيره من الخوارج وهو من أحداث عام (٥٩ هـ)، قال:

"حدثني عمر، قال: حدثني زهير بن حرب. قال: حدثنا وهب بن جرير، قال: حدثني أبي، قال: حدثني عيسى بن عاصم الأسدي، أن ابن زياد خرج في رهان له، فلما جلس ينتظر الخيل اجتمع الناس وفيهم عروة بن ادية اخو أبي بلال. فأقبل على ابن زياد فقال: خمس كنّ في الأمم قبلنا، فقد صرن فينا.

﴿أَتَبْنُونَ بِكُلِّ رَيْحٍ آيَةً تَعْبَثُونَ وَتَتَّخِذُونَ مَصَانِعَ لَعَلَّكُمْ تَخْلُدُونَ وَإِذَا بَطَشْتُمْ بَطَشْتُمْ جَبَّارِينَ﴾

وخصلتين أخريين لم يحفظهما جرير. فلما قال ذلك ظن ابن زياد أنه لم يجتريء على ذلك إلاّ ومعه جماعة من أصحابه. فقام وركب وترك رهانه. فقيل لعروة ما صنعت! تعلمن والله ليقتلك. قال: فتواري، فطلبه ابن زياد، فأتى الكوفة، فأخذ بها، فقدم به على ابن زياد، فأمر به فقطعت يده ورجلاه، ثم دعا به فقال: كيف ترى؟ قال: أرى أنك أفسدت دنياي وأفسدت آخرتك، فقتله، وأرسل إلى ابنته فقتلها" (٦٤).

هذا واقع الحياة الاجتماعية والدينية والسياسية آنذاك وقد ازداد سوء عند مجيء يزيد إلى الخلافة وذلك بعيد سنتين أي سنة (٦٠ هـ).

ومن هذا النص وأمثاله نستطيع أن نقول ان المحاور التي انطلقت ضدها ثورة الحسين عليه السلام هي نفس المحاور التي كانت مبرراً لرسالات الأنبياء عليهم السلام وعليه فان الدفاع عن ثورة الحسين والسير على نهجها والإيمان بها يمثل دفاعاً عن الدين والسير على نهجه والإيمان به والعكس هو الصحيح. ومنه نفهم أن كل من يجارب ثورة الحسين أو يقف أمام قضية الحسين إنما يقف على صعيد الطف على قديمي شمر قدماً على قدم ورسماً على رسم بل على قديمي قاييل من دون ان تختلف ليلة هذا عن بارحة ذاك.

وهكذا نستطيع القول في مجموع هذه الشواهد الثقيلة في الآيات والروايات والأخبار التاريخية والنصوص الحركية الحسينية التي تخللت إعلام الثورة وبلاغاتها أن الثورة التحمت مع رسالات الأنبياء التحاماً كاملاً في جميع أهدافها. مما يدعونا ذلك إلى القول إلى أن هذا الالتحام في الأهداف والدواعي كان آية فرقانية جعلت الحركة متميزة المعالم في كل مساراتها كما هي مسارات الأنبياء عليهم السلام، فلا غبش ولا ضباب يستطيع ان يتكثف على سمائها وأرضها ليكون حجة لمن يريد أن يناور ويمجادل بالباطل ، وهي ملحمة كتبت بقلم العصمة والشهادة والعلم هذه الأقلام الخالدة الباقية المقدسة بنقش قرآني رسالي يستوعب كل مفردات الرسالة الإلهية العامة في الثورة ضد الباطل والكفر والفساد والعدوان.

ثم ان هذه المعالم القرآنية الفرقانية كانت واضحة في نفوس وعقول كل المشاركين في الثورة وقد صرحوا بذلك وبينوها معاً، وكانت الشواهد التي يختارونها في هذا الصدد تمثل اختيار الحالة الفرقانية في مرحلة الحسم والقطع، لان القضية التي وقفوا من أجلها هي قضية المبدأ الذي لا يعرف روح المساومة والمداهنة والتخلي عن بعضهم من أجل بعضهم. وبقيت هذه الحالة الفرقانية سمة الساحة التي استشهد عليها الحسين والأنصار وأهل بيته، وسمة الناس، ولا حالة وسطى بين هذين الفريقين المتصارعين، والى يومنا هذا. ومن تلك اللحظة عرف الناس أهل الباطل؛ بل عرف أهل الباطل أنفسهم، وعرفوا أنهم لا يستطيعون بعد أن يزيّفوا أمرهم إلا على أمثالهم.

نتائج البحث

أولاً: إن القرآن يمثل الثقافة الأصيلة في بحث الثورة الحسينية كما هو حال الرواية وحكاية التاريخ .

ثانياً: إن القراءة الواعية لنصوص الثورة الحسينية من خلال العدسة القرآنية يضع البحث أمام العنصر الأول في القداسة وفي عرض عنصر الاعتماد على أقوال العترة الطاهرة العنصر الثاني فيها.

ثالثاً: إن المعالم القرآنية الفرقانية للثورة الحسينية كانت واضحة في نفوس وعقول كل المشاركين في الثورة ذلك لأنهم رافقوا القرآن الناطق والصامت في كل خطوة من خطوات سيرهم الجهادي وقد صرّحوا بذلك وبيّنوا تلك المعالم على أحسن وجه وأتمه.

* هوامش البحث *

- (١) الأنبياء / ٤٨ .
- (٢) الطريحي ، فخر الدين : مجمع البحرين : ج ٣ ص ٣٩٣ وهكذا نقل في المختار من صحاح اللغة لمحمد عبد الحميد ومحمد السبكي : ٣٦٣ .
- (٣) الأنفال / ٢٩ .
- (٤) الطريحي ، فخر الدين : مجمع البحرين : ج ٣ ص ٣٩٣
- (٥) الطبرسي : ج ٣ ص ١٩
- (٦) المرسلات / ٤ .
- (٧) الطريحي ، فخر الدين تفسير غريب القرآن: ص ٤٢٥
- (٨) المائدة / ٢٥ .
- (٩) الطريحي، مجمع البحرين: ج ٣ ص ٣٩٣ مادة فَرَقَ. وفي تفسير غريب القرآن: ص ٤٢٦
- (١٠) الزمخشري ، الكشاف عن حقائق التنزيل وعيون الأقاويل : ج ٤ شرح ص ٣٠٠
- (١١) الزبيدي ، محمد مرتضى ، تاج العروس : ١٣ ص ٣٩٣
- (١٢) المصدر نفسه: ج ١٣ ص ٤٠١
- (١٣) الأنفال / ٢٩
- (١٤) راجع : الطبرسي ، مجمع البيان : ج ١ ص ١٤
- (١٥) التوبة : ١٠٣
- (١٦) آقا بزرك الطهراني ، الذريعة: ج ٧ ص ٢٢
- (١٧) أي قسيم من الله بين الجنة والنار أي أهلها وذلك لان حبه موجب للجنة وبغضه موجب للنار ، فيه يقسم الفريقان وبه يفترقان وانا الفاروق الأكبر إذ به يفرق بين الحق والباطل و أهلها. الكليني ، الكافي : ج ١ - هامش ص ١٩٦

- (١٨) الصفار، محمد بن الحسن، بصائر الدرجات: ص ٢١٩
- (١٩) الطبري، تاريخ الطبري، ج ٤ ص ٣٢٤، ابن كثير، البداية والنهاية: ج ٨ ص ١٩٤.
- (٢٠) نفس المصدر، ج ٤ ص ٣١٦، أبو مخنف، مقتل الحسين، ص ١٠٥.
- (٢١) نفس المصدر، ج ٤ ص ٣٢٥.
- (٢٢) القصص / ٢١.
- (٢٣) يتنكب: يتجنب، الجوهري، الصحاح: ج ١ ص ٢٢٨
- (٢٤) راجع: الطبري، تاريخ الطبري: ج ٤ ص ٢٥٣، العسكري، مرتضى، معالم المدرستين: ج ٣ ص ٥٠
- (٢٥) شرف الدين، عبدالحسين، المجالس الفاخرة: ص ١٨٣
- (٢٦) الطبري، تاريخ الطبري: ج ٤ ص ٢٨٦
- (٢٧) نفس المصدر: ج ٣ ص ٥١، القصص / ٢٢.
- (٢٨) يونس / ٤١.
- (٢٩) أبو مخنف، مقتل الحسين، ص ١١٨.
- (٣٠) يونس / ٧١.
- (٣١) الأعراف / ١٩٦.
- (٣٢) هذا إضافة إلى انتصار مبادئه على مبادئ يزيد. لأنه مما لا شك فيه ان مبادئ الحسين كانت منتصرة وكذلك ثقل الحسين وامتداده الشخصي الذي أراد يزيد أن يدفنه ويستأصله بالكامل لم يحصل وبذلك انتصرت إرادة الله على إرادة الطاغوت.
- (٣٣) ابن عساكر، ترجمة الإمام الحسين: ص ٣١٩
- (٣٤) هود / ٥٦
- (٣٥) هود / ٥٣-٥٦.
- (٣٦) ابن طاووس، اللهوف في قتل الطفوف: ص ٦٠
- (٣٧) الممتحة / ٤. وراجع الزخرف: ٢٦
- (٣٨) الأعراف / ١٩٦.
- (٣٩) الأعراف / ١٩٣-١٩٨.
- (٤٠) راجع تفسير الآيات ١٩٣-١٩٨ من سورة الأعراف من الميزان في تفسير القرآن للسيد الطباطبائي.
- (٤١) ابن طاووس، اللهوف في قتل الطفوف: ص ٥٩
- (٤٢) القاضي النعمان المغربي، شرح الاخبار: هامش ص ١٤٩
- (٤٣) العسكري، مرتضى، معالم المدرستين ٣: ٦٨ والرواية جاءت في كتاب الإرشاد للشيخ المفيد، ج ٢ ص ١٣٢، وأعلام الوري: ج ١ ص ٤٢٩، وذكر ذلك صاحب نظم درر السمطين، ص ٢١٥، وثورة الإمام الحسين عليه السلام للقرشي، ص ٥٤.

وقد ورد الحديث الفرقاتي بينه وبين عبد الله بن عمر بعد ان حذّر هذا الأخير الحسين عليه من القتل والقتال، فقال عليه: يا أبا عبد الرحمن أما علمت ان من هوان الدنيا على الله تعالى، أن رأس يحيى بن زكريا أهدي إلى بغي من بغايا بني إسرائيل أما تعلم أن بني إسرائيل كانوا يقتلون بين طلوع الفجر إلى طلوع الشمس سبعين نبياً؟ ثم يجلسون في أسواقهم يبيعون ويشترون كأن لم يصنعوا شيئاً فلم يعجل الله عليهم، بل أخذهم بعد ذلك أخذ عزيز ذي انتقام، إتق الله يا أبا عبد الرحمن ولا تدعن نصرتي. نقله صاحب اللهوف، ص ٢٢، ومقتل الخوارزمي، ج ١ ص ١٩٢ - ١٩٣، وبحار الأنوار، ج ٤٤ ص ٣٦٥، ومن الواضح ان الحسين عليه في ذكره لهذه الحادثة المأساوية وربطها بقتل أنبياء بني إسرائيل يريد ان يقول ان الطريق الذي أسير عليه هو ذات الطريق هو طريق الأنبياء وطريق يحيى عليه. ورغم تشخص معالم هذا الطريق واتضح فرقانيته أحجم بعض الشيعة من الالتحاق به. ومنهم الفرزدق الذي قال له عبد الله بن عمرو بن العاص بعد ما ذكر له لقاءه بالحسين: فهلاً أتبعته، فوالله ليملكن، ولا يجوز السلاح فيه ولا في أصحابه، قال: فهممت والله ان ألحق به ووقع في قلبي مقاتلته ثم ذكرت الأنبياء وقتلهم فصدني ذلك عن اللحاق بهم. الطبري، ج ٤ ص ٢٩٠.

- (٤٤) راجع: البداية والنهاية، ابن كثير، ج ٢ ص ٦٦.
- (٤٥) وهذه الصفات مأخوذة من الآيات القرآنية التالية: آل عمران / ٣٩، الأنعام / ٨٥ - ٨٧، مريم / ١-٢، الأنبياء / ٩٠، راجع الميزان في تفسير القرآن، ج ١٤ ص ١٨.
- (٤٦) العسكري، مرتضى، معالم المدرستين: ج ٣ ص ١٢٢ والآية هي ٣٣ - ٣٤ من سورة آل عمران.
- (٤٧) المفيد، الإرشاد، ج ٢ ص ١١٧، وقد نقل الرواية العلامة المجلسي في البحار في، ج ٤٥ ص ١٢١، والأمين محسن في لواعج الأشجان، ص ٢١٤.
- (٤٨) البقرة / ١٣٧. الصدر، حسن، نهاية الدراية، ص ٢١٧.
- (٤٩) الصدوق، محمد بن الحسين، الهداية / مقدمة لجنة التحقيق: ص ١٦٤.
- (٥٠) آل عمران / ١٧٨.
- (٥١) راجع: الطبري، تاريخ الطبري: ج ٤ ص ٣١٩، أبو مخنف، مقتل الحسين: ص ١١٢.
- (٥٢) راجع: نفس المصدر: ج ٤ ص ٣٣٨، تجدداته القرآنية والفرقانية.
- (٥٣) بحار الأنوار، ج ٤٥ ص ١٢٩.
- (٥٤) مثير الأحران، ص ٨٠، اللهوف، ص ١٠٥.
- (٥٥) الشعراء / ١٠ - ١١.
- (٥٦) الصافات / ١٢٣ - ١٢٦.
- (٥٧) الشعراء / ١٧٧ - ١٨٤.
- (٥٨) الشعراء / ١٥٢.
- (٥٩) تاريخ الطبري، ج ٤ ص ٣٠٥.

- (٦٠) الإرشاد، ج ٢ ص ٨٥، بحار الأنوار، ج ٤٤ ص ٣٨٤.
- (٦١) تاريخ الطبري، ج ٤ ص ٢٨١، ابن الأثير، الكامل في التاريخ، ج ٣ ص ٣٩٦. وبدل لفظة حمّ جاءت لفظة [قُدّر]
- (٦٢) نفس المصدر : ج ٤ ص ٢٨٩، ابن الأثير، ج ٣ ص ٤٠٠.
- (٦٣) نفس المصدر ، ج ٤ ص ٤٠٣، ابن الأثير، الكامل، ج ٣ ص ٤٠٨.
- (٦٤) الطبري، تاريخ الطبري، ج ٤ ص ٢٣٢.

* المصادر والمراجع *

القرآن الكريم

- ١- الطريحي ، فخر الدين (ت ١٠٨٥هـ) ، تفسير غريب القرآن ، تحقيق وتعليق : محمد كاظم الطريحي، انتشارات زاهدي - قم .
- ٢- الطريحي ، فخر الدين (ت ١٠٨٥هـ) مجمع البحرين، تحقيق : السيد أحمد الحسيني، الطبعة : الثانية، تاريخ الطبع : ١٤٠٨ - ١٣٦٧ ش، نشر : مكتب النشر الثقافية الإسلامية.
- ٣- محمد عبد الحميد ومحمد السبكي ، المختار من صحاح اللغة ، انتشارات ناصر خسرو ، طهران - ١٣٦٣ هـ - ش .
- ٤- الزبيدي ، محمد مرتضى (ت ١٢٠٥هـ) ، تاج العروس ، تحقيق : علي شيري ، سنة الطبع : ١٤١٤ - ١٩٩٤ م ، المطبعة : دار الفكر - بيروت ، الناشر : دار الفكر للطباعة والنشر والتوزيع - بيروت .
- ٥- الزمخشري ، الكشاف عن حقائق التنزيل وعيون الأقاويل (ت ٥٣٨هـ) سنة الطبع : ١٣٨٥ - ١٩٦٦ م الناشر : شركة مكتبة ومطبعة مصطفى البابي الحلبي وأولاده بمصر ، عباس ومحمد محمود الحلبي وشركاهم - خلفاء .
- ٦- الطبري (ت ٣١٠هـ) تاريخ الطبري ، تحقيق : مراجعة وتصحيح وضبط : نخبة من العلماء الأجلاء ، الناشر : مؤسسة الأعلمي للمطبوعات - بيروت - لبنان .
- ٧- ابن كثير (ت ٧٧٤هـ) البداية والنهاية، تحقيق : تحقيق وتدقيق وتعليق : علي شيري ، الطبعة : الأولى ، سنة الطبع : ١٤٠٨ - ١٩٨٨ م الناشر : دار إحياء التراث العربي - بيروت - لبنان .
- ٨- أبو مخنف الأزدي (ت ١٥٧هـ) مقتل الحسين عليه السلام تحقيق : تعليق : حسين الغفاري ، المطبعة : مطبعة العلمية - قم .
- ٩- ابن عساكر (ت ٥٧١هـ) ترجمة الإمام الحسين عليه السلام ، تحقيق : الشيخ محمد باقر المحمودي ، الطبعة : الثانية ، سنة الطبع ١٤١٤ ، المطبعة : فروردين الناشر : مجمع إحياء الثقافة الإسلامية - قم - إيران .

- ١٠- ابن طاووس (ت ٦٦٤هـ) اللهوف في قتلى الطفوف ، الطبعة : الأولى ، سنة الطبع : ١٤١٧ ، المطبعة : مهر ، الناشر : أنوار الهدى - قم - إيران .
- ١١- القاضي النعمان المغربي (ت ٣٦٣هـ) شرح الأخبار ، تحقيق : السيد محمد الحسيني الجلالي ، المطبعة : مطبعة مؤسسة النشر الإسلامي الناشر : مؤسسة النشر الإسلامي التابعة لجماعة المدرسين بقم المشرفة .
- ١٢- العسكري ، مرتضى (معاصر) معالم المدرستين ، سنة الطبع : ١٤١٠ - ١٩٩٠ م ، الناشر : مؤسسة النعمان للطباعة والنشر والتوزيع - بيروت - لبنان .
- ١٣- شرف الدين (ت ١٣٧٧هـ) المجالس الفاخرة في مصائب العترة الطاهرة ، تحقيق : مراجعة وتحقيق : محمود بدري ، الطبعة : الأولى ، سنة الطبع : ١٤٢١ ، المطبعة : عترت ، الناشر : مؤسسة المعارف الإسلامية - قم .
- ١٤- ابن عساكر (ت ٥٧١هـ) ترجمة الإمام الحسين عليه السلام ، تحقيق : حمد باقر المحمودي ، الطبعة : الثانية ، سنة الطبع : ١٤١٤ ، المطبعة : فروردين ، الناشر : مجمع إحياء الثقافة الإسلامية - قم - إيران .
- ١٥- الخوارزمي ، مقتل الحسين ، أبو المؤيد الموفق بن أحمد المكي ، (٤٨٤-٥٦٨هـ) ، مقتل الحسين \$ ، تحقيق وتعليق الشيخ محمد طاهر السماوي ، منشورات مكتبة المفيد / إيران - قم المقدسة ، طبعة عام ١٣٦٧هـ...
- ١٦- المفيد ، محمد بن محمد بن محمد بن النعمان (٤١٣ هـ) ، الإرشاد ، تحقيق مؤسسة آل البيت لتحقيق التراث ، نشر وطبع دار المفيد .
- ١٧- آقا بزرك الطهراني (ت ١٣٨٩هـ) الذريعة ، الطبعة : الثالثة ، نشر وطبع : دار الأضواء - بيروت - لبنان .
- ١٨- الصفار ، محمد بن الحسن بن فروخ (ت ٢٩٠هـ) بصائر الدرجات ، تحقيق : تصحيح وتعليق وتقديم : الحاج ميرزا حسن كوجه باغي ، سنة الطبع : ١٤٠٤ - ١٣٦٢ ش ، المطبعة : مطبعة الأحمدي - طهران ، الناشر : منشورات الأعلمي - طهران .
- ١٩- الكليني ، محمد بن يعقوب (ت ٣٢٩هـ) الكافي ، تصحيح وتعليق : علي أكبر الغفاري ، الطبعة : الخامسة ، سنة الطبع : ١٣٦٣ ش ، مطبعة : الحيدري ، نشر : دار الكتب الإسلامية - طهران .
- ٢٠- الطبرسي (ت ٥٤٨هـ) تفسير جوامع الجامع ، تحقيق : مؤسسة النشر الإسلامي ، الطبعة : الأولى ، سنة الطبع : ١٤٢٠ ناشر : مؤسسة النشر الإسلامي التابعة لجماعة المدرسين بقم المشرفة .

